(عطا)

كان (عطا) نحيفًا كغاندي، وجهه مستطيل يميل للسمرة، ذو رأس صغير، وفم و أنف دقيقان، وعينان ضيقتان عسليتان، يشعّان ببريق غريب، وشعر أسود فاحم يعتني به أشد عناية، كان عندما يتحدث تتحرك يداه وينتفض جسده كعصفور بلّله القطر، كان دائم السخرية منا وكنا نتحمل سخريته لأننا نحبه، فمن عادته أن يجعل واحدًا منا هو النكتة اليومية، وكل قفشاته تنصب على هذا المختار، القربان المضحى به لإله الكوميديا كما يقول، وفي مرة كنا نجلس مجلسنا المعتاد وكان من بين أصدقائنا صديقٌ أبيض مربرب محمر ذو عينان زرقاوان وشعر أشقر.. كان (عطا) يطلق عليه اسم (الخواجة) افتتح (عطا) الحديث قائلا: مش أنا عرفت أصل (الخواجة).. ازاد احمرار وجه (الخواجة) وقد علم أنه المختار لتلك الليلة، أكمل (عطا) حديثه: أصله يرجع إلى تاريخ الحملة الفرنسية على مصر، عندما كانت جدته "ست الكل" تغسل الأواني النحاسية على شطّ الترعة، ولما رآها جند الفرنسيس والنسل كله كما ترون أحمر، و أبيض وأزرق لون علم فرنسا.. نضحك بهستريا يزداد (الخواجة) غضبًا واحمرارا يتركنا والغضب يتقاطر منه.. يقول (عطا): لماذا يغضب؟ كله مكتوب في كتاب تاريخ الجبرتي.. فصل ست الكل وجنود الفرنسيس.. ابتسم في تلك اللحظة و أنا أجلس في شركة الخواجة العالمية للاستيراد والتصدير الذي استقبلني بحرارة زائفة ونظرة..

هل ترى ماذا أصبحت؟ تحدثنا في أمور كثيرة وأثناء حديثنا دخل (عطا) أو شبحه لقد انطفأ الرجل وخبت جذوته.. عيناه مات بريقها خلف نظارة سميكة.. بدأ (الخواجة) يعنفه على تأخره وإهماله وأنه لا يصلح للعمل ولولا العشرة القديمة لألقاه في الشارع.. انسحب الرجل وهو يتعثر في أشلائه.. يبتسم الخواجة في وجهي قائلا: تشرب إيه؟

لم أرد عليه وغادرت المكان في صمت.